العام الذي في الصندوق

ميشائيل زيبن

CARLSEN

العبارة المستشهد بها مأخوذة من:

Black Swan Green

Hodder & Stoughton

تأليف ديفيد ميتشل

ترجمة: ضياء الدين زاهر النجار

حقوق النشر محفوظة

© 2006 by David Mitchell

حقوق النشر محفوظة
دار نشر كارلسن شركة ذات مسئولية محدودة
النص: Michael Sieben ©
تم تقديم هذا العمل بواسطة الوكالة الأدبية ميشائيل جيب
تصميم الغلاف: formlabor
صور الغلاف: shutterstock.com © Vadim Blazhevich / Sloth Astonaut / Zovteva
المراجعة اللغوية: Brigitte Kälble
التنفيذ: Björn Liebchen
التنضيد: Pinkuin Satz und Datentechnik, Berlin
الطباعة والتجليد: GGP Media GmbH, Pößneck
رقم الإيداع: ISBN: 978-3-551-58396-3
طبع في ألمانيا

اليوم

الصندوق في حجم كرتونة الحذاء تقريبا. وهو مصنوع من الخشب (شيء ما نبيل مثل خشب الماهوجني أو ما شابه ذلك)، وله غطاء قابل للطي ومقبضيّ درج بارزين على جانبيه. من الناحية النظرية تستطيع أن تغلقه بالمفتاح، لكن المفتاح ضاع في أثناء تعزيلنا الأخير. وكلما أقوم بفتحه ينحبس عني الهواء. في كل مرة يشبه الأمر الركلة التي تتلقاها أسفل المعدة حيث تتجمع الشبكة العصبية البطنية. صدقوني منذ أن أصبحت أعيش في مدينة فيكر وأنا أعرف الإحساس الذي تشعر به عندما تتلقى مثل تلك الركلة.

أهدت لي بيله الصندوق من عامين بمناسبة عيد ميلادي. في بادئ الأمر ظننت أنها قد خبأت نقودا أو قسيمة شراء هدايا بداخله؛ لأنه أي أم تلك التي تشتري علبة خشبية صغيرة لابنها بمناسبة بلوغه الخامسة عشرة؟ لكن لم يكن هناك شيء، لا أرضية مزدوجة ولا أي درج سري. لا شيء. ودار الحديث بيننا تقريبا كالتالي:

أنا: المفروض أن أفعل ماذا بهذا الشيء؟

بيله: ممكن تدخل فيه بعض الحاجات

أنا: شكرا. عمري ما كنت سأصل إلى هذه الفكرة.

بيله: هذا ما ظننته.

أبدى هذا المسمى بـ "زلبرأيزن" تبرمه من أنني لا يجب أن أكون بمثل هذا الجحود، فهذا الشيء بحسب رأيه غالي الثمن. تجاهلني هذا الزلبرأيزين معظم الوقت، لكن كان من اللازم من حين لآخر أن يعيش لنا في دور زوج الأم، هذا الأبله. لم أعد أتحمل انتظار أن تطلق عليه بيله النار. لكن الأمر أخذ وقتا أطول مما كنت أتخيل، إلا أن عجز بيله عن إقامة علاقات دائما أمر يمكن أن تثق به؛ فهي منذ الانفصال عن والدي لم تتحمل البقاء مع أي شخص لمدة طويلة.

- هل انتهيت؟ هكذا جاء صوت ندائها من أعلى السلم.

- لأ

- حينما تمتلأ السيارة الفان سنأخذ طريقنا بأول معدية.

- تمام

عند السلم بالخارج وقف عمال التعزيل يزأرون ببعض التعليمات ... أعلى ... أعلى ... تحرك بعض الشيء ... توقف ... احترس السقف ... **توقف!** اصطدم شيء ما بالحائط محدثا صوتا مدويا بينما انطلق أحد الرجال في إطلاق اللعنات. أصبحت غرفتي نصف خاوية. تم أخذ المكتب والأريكة بينما وقف السرير مفكوكة أجزاءه بعضها عن بعضها الآخر في مواجهة الشباك.

أجلس على الأرض مع الصندوق في حجري ولا أجرؤ على فتحه. لا أعرف المدة التي قضيتها على هذا الحال. عشر دقائق بالتأكيد. كان الأحب إلى قلبي أن أتركه في الدولاب، في الخلف تماما، عند التيشيرتات التي تم فرزها، لكننا نعزّل مجددا للمرة العاشرة. إنه التعزيل **الثالث** في غضون عامين. وبعد أن **"نفضت"** بيله من حياتها هذا الزلبرأيزين عزلنا إلى بيت جاهز التركيب في حي برلين-لشتنبرغ، ثم بعدها إلى بيت جدي، إلى حي فيكر في منطقة فيكرلاند. والآن، وبعد ما لا يزيد كثيرا عن ثلاث عشر شهرا جاء الدور على

التعزيل التالي، شارعين من مكاننا الحالي في منطقة للبيوت الجديدة. حاولت أن أجعل بيله تتراجع عن هذا الأمر، لكن بلا أدنى فرصة. فعندما تكون قد وضعت شيئا في رأسها فليس هناك ما يمكن فعله.

أقصد أن بيله لا بد أن تكون مخبولة، فلا يمكنك تصور وجود شيء أفضل من بيت جدي: البيت كبير جدا بحيث يكون لكل منا طابق مستقل به، أنا الطابق الأول، أما بيله فله الطابق الثاني. ثم قبو المنزل لممارسة الهوايات، وقد كان ملجأ حقيقيا من ملاجئ الحرب يمكنك فيه أن تدير الموسيقى إلى حد الانفجار دون أن يسمع الجيران شيئا. ومن الشرفة لديك نظرة على نصف وسط المدينة، ويمكنك أن ترى غابة "فيكر" وبُرجيّ مصنع بيرة تاينه. أضف إلى ذلك أن هناك حديقة خلف البيت ضخمة إلى درجة التوحش ينمو فيها كل شيء في كل مكان كما لو كنا في غابة أحراش، لأن منذ وفاة جدي لم يعد أحد يعتني بها. "فيلا شتيتلر"، هذا ما يقوله عن البيت "كين" دائما. شخصيا يعجبني الاسم حتى لو كان المقصود به أن يكون نكتة؛ فتقريبا كل شخص في فيكر يعيش في بيت بحديقة، ولذلك لا يفهم معظم الناس أن تكون "فيلا بحديقة" رفاهية من الحجم الميجا.

تجد بيله على أية حال أن "الفيلا" بالنسبة لشخصين كبيرة للغاية ومتهالكة للغاية، وربما كان من الواجب إجراء صيانة شاملة لها من أساساتها وليس عند بيله لفعل هذا لا المال ولا المزاج. هي ترغب في الانتقال إلى مبنى جديد تكون فيه النوافذ معزولة بإحكام والطرقات تحت قدميك بلا طقطقة والأبواب تغلق دون صرير. هي تريد شيئا يكون له طابع البرجوازية الصغيرة النمطي الجميل.

- صاحت: سنتحرك. خلال ساعة أو اثنين سنكون هناك. في المطبخ سندوتشات جاهزة وفطائر كرواسون.

- أوكيه

يضج فناء البيت بحركة مكتومة. يهف من بين ثنايا شجرة الخوخ المطلة على شباكي غراب ما ليختفي في حديقة "بالينكاس". قبل أن نأتي إلى هنا لم أكن أعرف أن ثمار الخوخ تنمو في ألمانيا. كنت أظنها تأتي من إيطاليا أو إسبانيا أو ما شابه ذلك. يمكنك على أيه حال في الصيف أن تقطف بعض ثمار الخوخ من شرفتي. أما هناك في المكان الذي سنعزل إليه فلا وجود لحديقة ولا لشجرة خوخ، مجرد شريط أخضر من خراء الكلاب خلف المنزل. وفي الأمام سياجات من شجيرات، تلك الشجيرات ذات اللون الأخضر الداكن المليئة بالأشواك والتي تبدو حتى في الصيف في حالة مزرية.

أحيانا كنت أحاول أن أحدّث نفسي بأن بداية جديدة أخرى ربما لن تكون بالأمر السيء بعد كل ما حدث العام الأخير. ولا شك أنه لتحقيق نقلة حقيقية فإنه يجب علينا أن نغادر فيكر إلى مدينة أخرى لا يتربص بنا فيها عند كل ثان ركن منها ذكريات سخيفة، والأحسن أن نغادر إلى بلد جديد، إلى **قارة** جديدة. أما التعزيل إلى منطقة مبان جديدة فلن يقدم عونا يُذكر.

أرسل لي زلبرأيزن بالأمس رسالة إلكترونية يقول لي فيها إنه لا يجدر بي أن ينتابني كل هذا الحنق بسبب التعزيل. والله وبلا أدنى تهريج، لقد كتب كلمة "الحنق". ولا يوجد إنسان يمكن أن يأخذ مثل هذا الأمر على محمل الجد. ما أقصده أن كلمة "الحنق"، إن وقعها في الأذن يعود إلى القرن قبل قبل الماضي. ولكن ليكن ما يكون، فإنه يتعين عليّ بحسب ما كتب ألا "ينتابني الحنق"، فهناك لا شك ما هو أسوأ في العالم. جيد أن يكتب لي هذا الأمر وإلا ما كنت قد فهمت! بصراحة شديدة، كيف يمكن لأي إنسان أن يكون بمثل هذا التخلف؟ زلبرأيزن يعرف قطعا ما كان قد حدث فهو وبيله يتحدثان تليفونيا مؤخرا بانتظام. ومع هذا فهو يظن أن الواجب يحتم عليه أن يقول لي إنه يوجد ما هو أسوأ من التعزيل. وهو مع هذا لم يتواصل معي إلا لأنه لا

يزال عنده آمال بخصوص بيله ولهذا يرغب في عقد السلام معي. لكن سينتهي الأمر إلى لا شيء، أيها الزميل. إما زلبرأيزن أو أنا، تعرف بيله هذا الأمر تماما.

في الواقع كان من الواجب أن أفرغ محتويات الدولاب حتى يمكنهم حمله بعدها إلى أسفل، لقد أجرّت بيله السيارة الفان ليوم واحد. معظم هدومي كنت قد أخرجتها بالفعل، لكني حينما اصطدمت بالصندوق كانت تلك اللحظة هي القطيعة النهائية مع همتي. ومن وقتها أجلس هنا وأشعر كما لو كان ما بيدي هو وعاء بلوتونيوم جاهز لتوظيفه في الأغراض العسكرية. ابعد هذا الشيء وواصل ما تقوم به، يجب أن تكون جاهزا حينما تعود بيله إلى هنا، هذا ما قاله صوت كان في رأسي. ولكن مليون طُظ في هذا الصوت! لا بد أن ألقي نظرة على ما بداخل الصندوق، لا مفر من هذا. إنه دين عليّ لماركو.

تشجعت وفتحت الغطاء. في هذه المرة لم يعد الأمر يشبه الركلة في المعدة بل أقرب إلى الإحساس بأن شخصا ما يقوم بتكتيفي من الخلف ويضغط عليّ بكل قوة حتى يصيبني الدوار. أنزلت الغطاء من جديد إلى أسفل لآخذ نفسا عميقا. يا إلهي، لكم كانت فكرة زبالة!

أدفع بالصندوق جانبا وأنهض. من الأفضل أن أجعله يختفي في داخل أحد كراتين التعزيل الكبيرة. لا يزال هناك في كراتين الكتب مكان متسع. لكن لا يجوز ملأ كراتين الكتب إلى آخرها، وإلا أصبح حملها بسبب ثقلها مستحيلا ولانفتحت أرضيتها في نهاية الأمر. إذن هل أضعه في داخل صندوق الملابس؟ أم أقذف به ببساطة إلى القمامة؟ ولمّا لا؟ فليس هناك شيء قيّم بداخله، ما عدا ... مرة أخرى ينتابني الدوار حينما أفكر بالأمر.

ولكي أُلهي نفسي بشيء ما آخذ كتابا من أحد الصناديق وأقلب في صفحاته. "111 سببا لأن تكون نباتيا". لقد كان الكتاب في يد بيله حينما قمنا بإفراغ رف الكتب. "إنها حالة مزاجية، وستذهب لحالها"، هذا ما قلته أنا، أما هي فقد كادت أن تموت من الضحك؛ فتلك الجملة "سيم مستديم" بيننا. "إنها حالة مزاجية وستذهب لحالها"، هكذا كانت إجابة طنط ميريام عندما كانت بيله قد حكت لها أنني قد توقفت عن أكل اللحوم. وهو أمر عصّبني وقتها جدا جدا جدا. فقد كنت أتممت لتوي الرابعة عشرة من عمري وأردت أن يأخذني الناس على محمل الجد وألا أسمع شيء عن **الحالات المزاجية** التي تجيء وتمضي مثل الحمى وآلام الأسنان. لم أتحدث لمدة أسبوع كامل مع بيله لأنها لم تعارض طنط ميريام فيما قالته. ولا لشيء سوى أن أظهر لهم أيضا أنني من وقتها لم آكل غراما واحدا من السجق أو اللحم أو السمك وأن الأمر لم يتجاوز في أقصى حالاته من ابتلاع ذبابة في أثناء قيادة الدراجة وهو أمر طبعا لا ذنب لي فيه على الإطلاق.

- لازم نمشي من هنننا!

- أوكيييييه!

من لوازم بيله دائما أن تودع الآخرين ثلاث مرات قبل أن تذهب. صوت كعبيّ حذاء راعي البقر الذي ترتديه يُدوي زاحفا فوق طرقات السلم، وينغلق الباب بالمفتاح. وفجأة يسود الصمت في المنور الخشبي للبيت. اختفت جرجرة الأثاث ولم يعد هناك عمال تعزيل يلعنون هنا وهناك. أما الغراب فيهبط مرة أخرى صامتا صمتا شبه كامل إلى داخل شجرة الخوخ.

لا يمكنني فعل شيء آخر إلا أن أجلس أمام الصندوق من جديد. لقد قال طبيبي النفساوي ذات مرة أنه عليّ أن أحزم ذكرياتي التي تهاجمني في أي صندوق أخترعه وأحكم غلقه بالدوبار وأبعده بعيدا. يجب أن أكون أنا من يحدد، من يقرر متى أحضر الصندوق مرة أخرى وأضعه أمامي وأفتحه. هووووووهو، هذا ما جاء على

بالي، فكرة لطيفة، لكن الأمر مع ذلك ليس "زات إيزي"؛ فلا يمكن هكذا بمنتهى البساطة الإمساك بأفكاري ثم حبسها بعيدا؛ فهي تأتي وتجيء كما تريد. لقد حاولت بعد ذلك فعل هذا مع صندوق "حقيقي"، وأقصد هدية بيله بمناسبة عيد الميلاد. حططت فيه كل الأشياء التي تذكرني ولو حتى من بعيد بماركو ولقد ساعدني فعلا هذا الأمر. لقد كان في شهر نوفمبر، أي من تسعة شهور، ومنذ ذلك الحين لم ألق نظره على ما بداخله. لقد حاولت فعل هذا مرتين، ثلاث مرات لكني لم أتقدم أي خطوة عن الآن.

أما اليوم فالأمر مختلف قليلا؛ فاليوم الصندوق لا يريد بشكل أو بآخر أن يتركني في حالي. إذن لا بأس. لقد هربت منه بما يكفي، باول شتيتلر. المحاولة التالية: ثلاثة، اثنان، واحد. ضغطت على جفوني وفتحت الغطاء للمرة الثانية. أشعر بالضغط الواقع على بطني وعلى صدري، لكنه مع ذلك ضغط في حدود محتملة. أرأيت، الأمر ليس مستحيلا!

بالأعلى تماما سكين كين. على نصلها محفور الحرفان كاف وفاء، إنهما أول حرفين استهلالين من اسم كين. لقد اشترى السكين بنفسه وذهب بها لحفر نصلها ودفع من أجل هذا الأمر 200 يورو تقريبا. إنها فعلا نقود كثيره جدا من أجل قطعة لم أستوعب مطلقا البتة الغرض الذي تصلح له أصلا؛ فمنطقة فيكر ليست الفلوجة أو كابول أو ما شابه ذلك، فما حاجتك هنا إلى **مطواة مخلب النمر الغبية**، تلك المطواة المشرشرة القابلة للطي! "ليس هذا هو الموضوع"، هذا ما كان كين يقوله دائما، أما **ما هو الموضوع**، فهذا ما لم يقله.

أُخرج الأشياء من الصندوق وأرصها أمامي: سكين كين، كومة من تذاكر السينما، علبة مينتوس، النظارة الشمسية لمارفن، الأيفون الخربان المطبوع خلفه بخط الفقاعات، سوار أحمر، ونسخة مطبوعة ومطوية من قصتي: "المغامرات العجيبة لدكتور فلنت"، قائمة طعام بيتزا كينج، مطوية دعائية لبرنامج الشركة المساهمة "تياتر آه جيه"، كوستر بيرة مرسوم عليه قائمة ملاحظات، وعازلين طبيين برائحة الشكولاتة ماركة "لاكي دود". ولا أعرف حقيقية لماذا احتفظت بهما؟ لن استعملهما أبدا، هذا أمر لا شك فيه، لأنه سيكون محرجا جدا لي، أقصد برائحة الشكولاتة؟ أفندم؟ حسنا، إذا سار الأمر كما كان آخر مرة فإن هذا السؤال لن يطرح نفسه في المستقبل القريب. أمر محزن لكن حقيقي.

اليوم الذي دس فيه كين العازلين الطبيين في يدي كان يوما مثل أيام كثيرة لعنت فيها فيكر وتمنيت للمدينة فناء أشبه بمرويات فناء نهاية العالم الموجودة في الإنجيل. الدمار الكامل كما في نهاية فيلم "المراقبون" حينما مُسحت مدينة نيويورك من على وجه الأرض مسحا. لقد كان الأمر من سنة تقريبا في شهر أغسطس، في الأسبوع المدرسي الثاني أو الثالث حينما كنت هنا جديدا تماما وكنت في المقام الأول "مغفل الفصل رقم واحد".

قطعتان لاكي دود

"بص كويس! طبعا هو!"

"طيب، مش عارف ... "

"اصبر، سأشغله من الأول مرة أخرى."

ينقر فيلاند على تليفونه المحمول ويثبته أمام عيني أليا. يضحك جلوتس. لا أعرف أحدا يضحك بمثل هذا العته كما يفعل فيكتور جلوتس. يأتي صوته كصوت كلب البحر، هذا البني آدم. وربما كان له أيضا تقريبا نفس مستوى الذكاء.

"مش يجنن يا شقيق؟"، قالها ليحرك محمول فيلاند إلى الخلف قليلا حتى يمكن أن يرى على نحو أفضل.

"ابعد صوابعك المدهننة دي!"، يصرخ فيه فيلاند ليقول له: "انت كدا بتوسخ الشاشة ".

"حاضر! فكها بقى!"

"هو شكله كدا فعلا"، قالتها أليا جاحظة العينين.

لم يلحظوا بعد وجودي. اخلع جاكت المطر، أجلس على المدفأة الموجودة أمام فصلنا المدرسي وأخرج أول كتاب من حقيبة الظهر يمكنني الإمساك به بسهولة. "الأحياء +". ازيح الشعر المبتل من على جبيني وأتظاهر بالقراءة. اثنان من الصف الدراسي الخامس يقتحمان المكان قادمين من الركن ويتضاربان بحقائب الرياضة الخفيفة. أحدهما تسقط النظارة من على عينية ليبدأ فعلا في النواح. يقف وكيل المبنى الذي يبدو مثل الممثل المصارع "Dwayne »TheRock« Johnson" على سلم ويصلح إضاءة السقف. لا أثر لدكتور جوفن. خسارة وإلا لكان الآن سحب من فيلاند الأيفون الخاص به فهو لا يوقفه شيء. لكن جوفن لن يأتي و The Rock ولا يفرق معه أمر حظر التليفونات المحمولة الزفت في شيء. لا فكرة لديّ عمّا يريه فيلاند حاليا للآخرين، لكنني أراهن أن الأمر له علاقة بي.

اكتشف جلوتس وجودي الآن. يدفع فيلاند من كوعه جانبا ويهمس بشيء في أذنه. تزداد السخونة بداخلي ولكنني أحاول ألا يلحظ أحد شيء عليّ واسمّر عيني في كتاب الأحياء بكل جهدي. وعندما أرفع عينيّ لأعلى سريعا يرمقني فيلاند بابتسامة تكلف شامتة. كنت أعرف أن هذا سيحدث.

هذا الشخص يكرهني من أول يوم. ولتحري الدقة فإن الأمر لم يستغرق حتى عشر دقائق وكان ما بيني وبينه قد تزفت، وهو ما قد يكون رقما قياسيا مطلقا. وكل هذا بسبب جملة غبية فهمها فيلاند فهما خاطئا تماما. ومن وقتها وفيلاند يستغل كل مناسبة للإجهاز عليّ. بالأمس هددني أن يهوي بيده على خشمي إذا جئت للمدرسة مرة أخرى بالتي شيرت المكتوب عليه عبارة "Super Dirty Dishes" (أطباق شديدة الاتساخ)، مع أنه لا يعرف معنى كلمة Dishes أصلا! طبعا لا، فالتافهون مثل فيلاند ليس عندهم أدنى فكرة عن الموسيقى الجيدة. "إذا كانت هذه هي فرقتك الموسيقية المحببة **فلا بد** أن تكون قطعة من الخراء"، قالها لي لينقر بإصبع إبهامه على جبهتي. هذا الشخص مقرف جدا. لكنه للأسف "ألفا الفصل" المطلق. في الأسبوع قبل الماضي تم انتخابه بأغلبية عشرين صوتا ضد ثلاثة أصوات ليكون متحدثا باسم الفصل. وعندما يلقي نكتة فالكل يضحك مهما كان مغزاها مسطحا. وعندما يجدك زبالة فإن الكل يجدك زبالة.

يتجمع الناس بعدد متزايد حول فيلاند وينظرون على تليفونه المحمول. وبتقديره الممتاز البالغ واحد فاصل خمسة وتسعين يتفوق عليهم جميعا. يرتدي جاكت البيسبول الأزرق المصفر المكتوب على صدره حرف "فاء" كبير جدا عوضا عن اسم "فيكر" (وإذا سألتموني يمكن أن يكون الفاء أيضا كلمة أخرى شبيهه الصوت بكلمة فيكر)، وبولوشيرت بياقة واقفة وبنطلون تدريب وحذاء أبيض ماركة نايكي. وجهه محروق باللون البني، من أخذ حمام شمسي صناعي على ما أظن، حواجب العينين مُنْتَفة، وأما أسنانه أيها المسيح فهي كبيرة جدا وبيضاء جدا حتى أنه يمكنك بسهولة أن تراها تضيء قبل أن ينعطف ناحيتك.

"ما توّسع، يا متخلف!"

ارتعد جسمي، فقد خطف ماركو "نوتشه" كوبيتشك عند مروره الكتاب من يدي بينما كنت على وشك أن أقلب الصفحة، ليصبح ما بين أصابعي الآن صفحة مقطوعة. انفجر جلوتس وفيلاند من الضحك حتى كادا أن يسقطا من طولهما وضربا كفيهما بكف نوتشه. قسوة طبيعية. لا يجب الرد على هذا. أرفع الكتاب، أضع الصفحة المقطوعة بداخله وأتظاهر بأنني سأواصل القراءة. "الأسس الجزيئية لعلم الوراثة". هل أخذنا هذا الشيء؟ لا أستطيع التذكر.

أخذت الدائرة المحيطة بفيلاند وجلوتس تتسع وتتسع. بعضهم يتزاحم بقوة لكي يستطيعوا الرؤية أفضل. على نحو مستمر ينظر أحد منهم إلى من الناحية الأخرى ويضحك. يا ترى ماذا خطط لي فيلاند من جديد؟ من زاوية عيني أرى شخصا قادما علي. أوكيه. الموضوع لا يزال مستمرا. والآن ليس أمامي سوى أن أظل هادئا وألا أدع أحدا يستفزني وأن أتظاهر بأن كل هذا سيختفي إلى غير رجعة. أرى ظل هذا الشخص واقفا أمامي مباشرة. حذاء متهالك ماركة أسيكس، مقاس 48 على الأقل، بنطلون جينز واسع مثني من عند ركبتيه، أحد الرجلين أطول من الأخرى وعند الكعب الجلد مكحوت، جاكت من صوف الفليس الرخيص مقاس إكس إكس لارج، وتحته تي شيرت متهالك يحمل عبارة "الحياة أفضل مع واي فاي". إنه محمد. الحمد لله، إنه محمد. أسقط حقيبته بجوار حقيبتي، إلا أنه لم يجلس.

"هيا يا شتيتلر تعال معي."

محمد. ضحية جديدة. وزنه على الأقل مئة كيلو وعنده ثديان. لم أر مثل هذا من قبل، فهما متدليان تقريبا إلى بطنه. في أول يوم لي بيّن لي محمد طريق الكانتين. تعمل أمه في القسم الخاص بتوزيع الطعام، ولهذا يرى غالبا أن من واجبه أن يوجه "الجدد" إلى هناك. فيلاند يغلّس عليه دائما بأمه. "هل تطبخ نفس الزبالة عندكم في البيت؟ فهذا العك لا يمكن أن يأكله أحد"، أو ما شابه ذلك من جمل. لا يبدو أن محمد يهتم مطلقا بهذا. بل على العكس، شعر بأهميته إلى حد ما حينما وضح لي قوائم الطعام التي يمكنك اختيارها أو التي يمكنك توليفها.

يجلس محمد متربعا كل يوم من ثلاث إلى أربع ساعات أمام البلاي ستيشن ويلعب نفس اللعبة: Wargames Evolution Pro, Part II. كان هذا تقريبا أول شيء قاله لي، وهو أنه المحترف كامل الأوصاف (الألمعي) في تلك اللعبة وأنه على مستوى العالم لا يوجد سوى أشخاص قليلة في العالم يمكنهم أن يدخلوا معه في منافسة. ليس عندي فكرة ما إذا كان هذا صحيحا أم لا؛ فمحمد يحكي كثيرا. كما أنه يدعي أيضا أنه يتقن ثلاث لغات أجنبية: الفالارية الفصحى، اللغة الإلبية والكلينغونية. وبحسب ما يزعم فإنه يستطيع أن يسمّع الجزء الثالث كله من سلسلة أفلام هاري بوتر (هو **بلا أدنى شك أحسن فيلم في السلسلة، يا شتيلتر**). باختصار القول: محمد أهطل. لكنه تقريبا الوحيد الأوحد في الفصل الذي لا يعاملني كأنني قطعة من الخراء.
"هذا ما أرسله لنا جميعا فيلاند"، قالها عندما وصلنا إلى منطقة التدخين من فناء المدرسة. نقر كوده السري، خمس مرات الصفر، يريني تليفونه المحمول ماركة جالاكسي المليء بالبقع الدهنية. في الشاشة تلك الدائرة

المتحركة حينما يجري تحميل أحد الفيديوهات. لست في جروب الشات الخاص بالفصل، فلم يوجه إلى الدعوة أحد، ولا حتى محمد، لكن ربما لا يستطيع توجيه الدعوة إلا أدمن الجروب. توقف المطر. تخوض فتاة بحذاء بوت مطاطي طويل أحمر اللون وهي تائهة الأفكار عبر برك الماء الصغيرة. من الصف الخامس، أو الصف السادس ربما. يا جماعة، الحياة وقتها كانت فعلا لسه "إيزي".

يبدأ العرض. إنه فيديو تصوير أحد الهواة، إضاءته مظلمة ومهزوز، لا يمكنك أن تتبين أي شيء تقريبا. أوكيه، ما عدا أن سيدة تقف على جانب الشارع، ليس لمتعتها الشخصية، هذا واضح، هذا يراه الأعمى. خصلات شعر لوّنت بلون أصفر بلاتيني، حذاء بوت أبيض، تنورة قصيرة، حقيبة بطن، وعند هنا لست بحاجة إلى كثير من الخيال. يأتي أحد الأشخاص عابرا موقف السيارات ويخاطب السيدة. يتحدثان لوقت قصير لتأخذه من يده ويهبطان الشارع. الذي يحمل الكاميرا يجري وراءهما. لا يمكنك أن تسمع شيئا سوى أنفاسه وكعبي بوت السيدة اللذان يطرقان أسفلت الشارع بإيقاع منتظم. لا يلحظ الاثنان أن أحدا يتبعهما أو يتظاهران بأنهما لا يلحظان شيئا، ولكنهما على أية حال لا يستديران إلى الخلف. بعد عدة أمتار تسحب المرأة الشخص إلى داخل الشجيرات الموجودة على حافة الشارع ثم وراءهما الكاميرا متأخرة بعض الشيء. الصورة تهتز، يُسمع صوت خشخشة الفروع، لينزاح أحدها جانبا فترى الاثنين من جديد: ينزل الشخص بنطلونه و تنزل السيدة على ركبتيها أمامه وتضعه في فمها. يغنج بصوت مرتفع: "أيوه يا بيبي، أيوه يا بيبي"، إلا أن صوت الغنج في الأذن يأتي مصطنعا جدا جدا لدرجة أنه لم يكن أمامي إلا أن أضحك.

يوقف محمد الفيديو مؤقتا.

"هل يمكنك تخيل بقية ما سيحدث؟"

"نعم، فماذا؟"

يتنهد محمد ويبص لي بمزيج من الشفقة والتبرم.

"يا بني آدم، يا شتيتلر. هل رأيت الرجل؟"

"نعم؟"

"هل رأيته بتركيز **دقيق؟**"

"ما تنطق بقى، هو الموضوع ايه؟"

"شكله زيك."

"أفندم؟!"

"**بالشعرة** مثلك، يا شتيتلر"

"ورِيني تاني كدا"

ما هذا الهطل، فعلا. أوكيه، من النظرة الأولى، من النظرة الأولى جدا يعني وبدرجة كبيرة جدا من حسن النية فإن الشخص يبدو شبهي قليلا. شعره الأسود يتدلى من على وجهه ويغطي معظمه، يبدو شاحبا كما أنه يرتدي

مثلي نفس الجاكت الجينز. وعند هنا تنتهي أوجه الشبه بيننا. وإذا بصيت في الفيديو بشكل أدق ستعرف فورا أنه ليس أنا؛ فالشخص أكبر سنا والأنف أعرض، بجانب أنه يمشي بشكل مختلف تماما عني.

يبعد محمد التليفون المحمول وهو يضعه في جيبه ويتجشأ. "أعرف كيف يبدو عليه الأمر؛ فأنا على قائمة فيلاند من سنوات كثيرة. ومؤخرا طلبوا عن طريق حساب مزيف دمية جنسية إلى منزلي. هل يمكنك أن تتصور كيف كانت بصة والدتي حينما تم تسليم "مس بوب"؟ ولأكون صريحا: أنا ممتن من السعادة بأنك انضممت إلى فصلنا. فمنذ أن ركزوا معك تركوني بعض الشيء في هدوء."

لا أعرف بما أرد. **شكرا، أي خدمات؟** هوى محمد بيده الغليظة على كتفي. "فالار مورغوليس[1]، يا شتيتلر. هيا بنا ندخل، فلا شك أن جوفن هناك من فترة"

على السلم تقابلنا في وجهنا كات مع شلتها المكونة من "مُزز" فاقعة الماكياج. كاتارينا تاينه هي الأخت التواءم لفيلاند من الفصل الدراسي الموازي ولا تقل شهرة عن أخيها. شكلها حلو **بطريقة لا يمكن تصديقها**، على طريقة عارضات الأزياء، ولو وضعناها على مقياس من واحد لعشرة فستأخذ إحدى عشرة درجة كاملة بمنتهى السهولة، كما أنها من ناحية الشخصية العكس المطلق لفيلاند، ودودة، محبوبة، ودمها خفيف. كما أن درجة تباهيها بمظهرها الذي تبدو عليه صفر. وها هي تحيينا بابتسام. "هاللو!"، هكذا يأتي صوت محمد ناعقا مبحوحا ويصبح لون وجهه أحمر فاقع. يا ربي، كم الأمر محرج، ولا ينقصنا الآن إلا أن يبدأ في أن "يريّل" على نفسه. لحسن الحظ كانت كات وصديقاتها قد تجاوزونا وأسرعوا بالنزول على درجات السلم في اتجاه الصالات الفنية في البدروم.

الباب المؤدي إلى غرفة الفصل مفتوح.

"دكتور جوفين نسى شيئا في غرفة المدرسين، وسيرجع حالا"، هذا ما قالته أليا لتستدير مغادرة.

في رأسي تقرع كل أجراس الأنذار. شيء ما غير مضبوط؛ فالحال أهدى مما ينبغي. وما يلفت النظر أكثر وأكثر هو أن لا أحد يضحك وأنا أدخل الفصل. كما أنهم بالإضافة إلى ذلك كلهم في وضع الجلوس. فلم يحدث **مطلقا** أن يجلس جميعهم عندما لا يكون هناك مدرس، فدائما ما تجد من يجري هنا وهناك. لا يبدو أن شيئا من هذا يلفت نظر محمد. يجر قدماه إلى مكان جلوسه في أقصى الوراء وهو يتثائب. أما مكان جلوسي فهو في المنتصف بجوار فيلاند. أعطاني ظهره وأخذ يقلب في كتاب الرياضيات خاصته. آليا تحدق بتركيز إلى الخارج ناحية الشباك كما لو أنها لم تر قبل الآن غيمة في السماء. بنفس مكتوم أمر منها بحذر شديد.

حينما سحبت كرسيّ إلى الخلف خبطني شيء ما في فكي. وبرد فعل لا إرادي انحنيت بجسدي متخذا وضع القرفصاء جاذبا ذراعيّ إلى أعلى. أمام قدمي استقر عازل طبي، مبرشم في بلاستيك لامع، بني اللون بلون الشيكولاته وبقبلة فم مرسومة فوقه. "الآن"، جاء صوت فيلاند هادرا، وقبل أن أستطيع فعل أي شيء، يجري الهجوم علي من كل جانب: "أيوه يا بيبي، أيوه"، يأتي صوت جلوتس متغنجا حينما اصدم عازل طبي ماركة لاكي دود بجبهتي. "باول البورنجي، باول البورنجي"، يصيح نوتشه ويضرب بقبضتي يده بإيقاع منتظم على المنضدة. "باول البورنجي، باول البورنجي"، هكذا جاء صوت زيمون وآليا في نفس واحد. قذيفتين لا يفصلهما عن بعض فاصل طويل يمرقان بجوار أذني بصوت مكتوم. شخص ما يشغّل الفيديو الذي في تليفونه المحمول

[1] اسم الحلقة العاشرة من الموسم الثاني من مسلسل الخيال صراع العروش التي تتخلص حول تكريم بعض المقاتلين بعد موقعة حامية.

"أيوه يا بيبي، أيوه يا بيبي"، يأتي صوت الشخص الذي في الفيديو متغنجا والذي لا يبدو مثلي إلا بنسبة صفر بالمئة. "والآن عدّوها"، قالها محمد، ولكن لا أحد يسمع له بطبيعة الحال.

أعرف أنه علي أن أجز على أسناني وأن أظل هادئا. أعرف هذا. لكن مستحيل! "بس يا ولاد ال ... "، هكذا انفجر الصوت من داخلي. بغضب أمسك بعازل طبي طار في اتجاهي. أرفعه وأطيح به ناحية فيلاند لكنه يخطئ وجهه الشامت ببعض السنتيمترات. الدموع تسح على وجهي. أمسك نفسك يا باول، فلا يمكن أن تنوح الآن، فهذا ما يريدونه تماما. "باول البورنجي، باول البورنجي، باول البورنجي، باول البورنجي.". تتداخل أصواتهم. وأشعر كما لو كنت تحت الماء ولا يتبقى في أذنيّ إلا صوت ضوضاء مكتومة . أتوغل في داخل الكرسي وأدفن رأسي في ذراعيّ، وأتصور كما لو كنت دكتور فلنت وكان معي حجر الصوّان في جيبي ...

"سآخذ بعضها، تمام؟ ولا عايزها كلها؟"

يقف أمامي كين الذي مكانه آخر صف ويرمقني بنظرة متسائلة. هو الأصغر في الفصل ويبدو كما لو كان في الثانية عشرة من عمره. لكنه في نفس الوقت المتحدث الأعظم، على الأقل مع المدرسين، وما عدا ذلك فهو لا يتحدث مع أحد. بشكل آلي هززت رأسي لأمسح الدموع من عيني.

"بسرعة"، قالها ليواصل كلامه: "مع العوازل الطبية الحر يحب الزيادة."

ينزل القرفصاء ويدس عازل طبي بعد الآخر في جيوب بنطلونه. ولم ألحظ إلا الآن أن هدوء الموت قد خيّم على المكان. ولم تلتقط أذناي أنهم قد توقفوا عن عبارة "باول البورنجي."

"انسى يا كين"، هكذا قالها فيلاند. "إن حجمها أكبر ثلاث مقاسات من الشيء الذي بين رجليك".

يفرد ساقه ويريد أن يشوط بآخر عازل طبي لا يزال على الأرض تحت منصة التدريس. لكن كين كان أسرع وأستطاع الإمساك به قبل أن يصل إليه فيلاند. ينهض على قدميه ويرفع العازل الطبي ماركة لاكي دود أمام أنفه" "أنت عارف حاجة؟ هذا الشيء سأعينه لأختك. سمعت أنها تذهب مع كل واحد إلى السرير"

فورا اختفت ابتسامة السخرية من على وجه فيلاند. ينحي كرسيه جانبا يفرد جسمه أمام كين الذي لا يكاد يصل إلى صدره ليجمع قبضتي يديه.

"انتبه لما تقول أيها المسخ!"

يدخل دكتور جوفين إلى الداخل، كحاله دائما مرتديا بذلة رمادية فاتحة وبحقيبة ظهر رياضية على ظهره.

"صباح الخير، اجلسوا من فضلكم؟ اخرجوا الكتب، صفحة 125 ... فيلاند، كين، ما الأمر؟"

للحظة يقف كين وفيلاند في مواجهة بعضهما مثل ملاكمين قبل النزال. ليتحول بعدها فيلاند عنه. "لا شيء"، قالها مبتسما. ليقول بعدها بصوت أكثر انخفاضا لكين ولي: "الكلام لم ينته بيننا".

"يمكنك أن تراهن على ذلك يا قرد."

"كين"، قالها دكتور جوفين بحماس "اجلس!".

في أثناء مروره يدس كين عازلين طبيين في يدي.

"من أجلك"، قالها لي ليضيف: "أما الباقي فأنا محتاجها لنفسي."

في الفسحة الكبيرة أجلس القرفصاء خلف شجرة الكستناء عند المدخل الرئيسي، أضع سماعتي الرأس على أذني وأضيف ألبوم فرقة "الأطباق شديدة الاتساخ" إلى قائمة اللعب الخاصة بي. ظهرت الشمس من خلف الغمام ليصبح الجو مرة واحدة دافئا بحق. في "القفص" يلعب أربعة شباب من الفصل الموازي بفانلاتهم الداخلية كرة السلة، بينما تجمع الناس عند ألواح تنس الطاولة كل منتظرا دوره.

بعد منتصف الأغنية الأولى أوقف الموسيقى من جديد. ليس لأني ليس لي مزاج في سماع موسيقى " THE DISHES "، بل على العكس. فبعض الأغاني ببساطة أقيَم من أن تسمعها في الأيام الهباب. كما أن هناك خطرا أن أفسدها بتداعيات سلبية في المعاني، فلا مزاج عندي وأنا أسمع أغنية "Not a Stupid Love Song" (ليست أغنية حب غبية) أن أتذكر حتما في كل مرة أنني قد تم تعميدي باسم "باول البورنجي".

ما بين لحظة وأخرى يبص أحدهم من الناحية الأخرى عليّ بشكل أو بآخر بنظرة مختلسة ويضحك. يبدو أن الفيديو قد انتشر خارج حدود فصلنا. يحظروا استخدام الهاتف المحمول أم لا، لا تفرق؛ فمن أين يأتي فيلاند بمحموله، لا أحد يسأل طبعا عن هذا. أما أنه قد عاش حياته في بعض صفحات البورنو فلا يبدو أن هذا أمر يهم أحدا. ولو كنت فعلت هذا لكانوا قد نقشوا بحروف كبيرة هذه المعلومة على حوائط االمدرسة، هؤلاء البلهاء.

يدخل كين إلى فناء المدرسة. ماذا يفعل هنا يا ترى؟ عادة لا يترك مجالا لأن يراه أبدا أحد في الخارج. وليس عندي فكرة عن المكان الذي يهيم فيه في أوقات الاستراحة؛ ففي الواقع يجب أن تذهب إلى الفناء، أما البقاء في المبنى فمحظور، بسبب الرقابة والتأمين وخلافه. ينظر حواليه متثائبا، يكتشف وجودي عند شجرة الكستناء فيتهادى ناحيتي. يرتدي قميص هاواي مشجر فاقع اللون، شعره مفروق من منتصف الرأس ويتدلى حتى كتفيه. يمسك في يده شطيرة مكتظة من خبز الباجيت المصنوع من دقيق القمح الكامل.

"**لا** تترك فيلاند يهزك"، قالها ليجلس بجانبي. "هو غبي مثل شريحة توست بلا زبد."

ما أسهل الكلام على كين. فيلاند والآخرون "قرطسوني" وشتموني ورموني بالعوازل الطبية، كيف يمكن لأحد **ألا** يهزه هذا؟" أطوي كابل السماعات وأهز كتفيّ.

"الغالبية يتبولون ببساطة على أنفسهم منه ومن ناسه"، هكذا أكمل كلامه ليضيف قائلا: "لا يريدون أن يزفتوا العلاقة معه لأنه في لحظة ما سيرث مصنع البيرة وسيكون أغنى الرجال في فيكر. ولهذا لا أشرب البيرة ماركة تاينه بيلس؛ فكل سنت يجعل هذا الشخص أكثر ثراء."

يقرض في شطيرة الباجيت مثل حيوان الهامستر. ولأنه قصير ونحيف جدا فهو يبدو أكثر شبابا من أعوامه الستة عشرة. لكنه عندما يتحدث فإن رنة صوته تجعله يبدو أكبر عشر سنوات من عمره وهو ما يجعل من هذه التوليفة خليطا عجيبا إلى حد ما. ومع ذلك يبدو عليه أنه يمتلك ثقة جبارة بالنفس. تتحدث الإشاعات عن أنه في العام الماضي كانت له علاقة مع تلميذة تبادلية من الصف الثاني عشر، من الصف **الثاني عشر**. لابد أنها نكتة. فلا يوجد أحد بالفصل لديه صديقة أكبر منه في السن ولا حتى فيلاند صاحب حمامات الشمس الصناعية، فلا تجري الأمور هكذا فالشباب **دائما** أكبر سنا من الفتيات.

"أعرف فيما تفكر"، قالها بصوت وهو يمضغ طعامه بصوت مسموع. "من يهمه ما سيكون عليه الحال في عشرين عاما؟ لكن هكذا تجري الأمور هنا. لن تغادر فيكر. تقريبا كل من في فصلنا ولدو هنا والغالبية ستموت هنا."

"وأنت أيضا؟"

"بالتأكيد لا."

"بل ماذا؟"

"لا أعرف. هل برلين مدينة جيدة للموت هناك؟"

"لم أجرب هذا بعد على نحو كامل."

يبتسم كين ابتسامة استخفاف. ينحي الشطيرة جانبا ليدعبس عن علبة فضية صغيرة في حقيبة ظهره. يفتحها ويخرج بطاقة في حجم البطاقة الائتمانية ويضعها أمامي.

"تفضل"

"ما هذا؟"

"بطاقة التعارف الخاصة بي"

"بطاقة ماذا الخاصة بك؟"

"البطاقة الخاصة بي يا كين"

ألتقطها من يده. مكتوب فيها "كين فيلبس"، علاوة على ذلك رقم تليفونه المحمول وعنوان بريده الإلكتروني "$UPERKEN3000@GMAIL. COM"

"فيما تحتاجها؟"

"ما هذا السؤال. أي إنسان متحضر بحاجة إلى بطاقة. هل تحب مشروب الشنابس الكحولي؟"

"لا .. لا أعرف"، أجبته بحذر. لست متأكدا من مقصده. تعلمت في فيكر أن أكون متشككا.

"لكنك تشرب الكحوليات، أليس كذلك؟"

"لا أحب البيرة."

يضحك كين. "لا تحب البيرة؟ بجد لأ؟ بهذا لن تكوّن في فيكر أي صداقات."

"هذا ما نجحت فيه بالفعل بهذا الشكل"

"مبروك. إذن، عندي في المنزل شيء مثل هذا، وطعمه مثل رب السوس. في الأول تظن أن هذا لعب عيال، لكنني أقول لك أنه سيجعلك تسكر بسرعة البرق. لا تسألني من أين أتيت به، فمصادري سرية. ربما أحضر الزجاجة مرة معي، ووقتها يمكنك أن تجرب بنفسك."

"نعم، سنرى".

يمسح كين بظهر يده بقايا الزبد من زاويتيّ فمه. "سأجرجر رجل محمد أيضا إليه. صحيح أنه دائما ما يدّعي أن معدته لن تتحمل شيئا لكنني لا أبلع هذا الكلام بكتلته الجسدية تلك."

"هل أنت ومحمد صديقان؟"

"لست متصادقا مع أحد. محمد وأنا أحيانا ما نراهن سويا، هذا كل شيء. يعامله فيلاند كأنه قاذورات، ويكفي هذا سببا للتضامن مع محمد."

"هل لهذا ساعدتني من قبل؟ بسبب فيلاند؟"

يتلاشى ضحك كين مع قرع جرس المدرسة. "أيضا"، قالها لي ليمسك بالعلبة التي تحتوى بطاقات التعارف ويقفز من على المقعد المدرسي. "لكنني أساسا كنت أريد الفوز بالعوازل الطبية. إنها لاكي دود يا رجل. هذه الأشياء غالية الثمن."